الفصل الثالث

مشكلات الشباب العاطفية

- عاطفة الحب في التصور الإسلامي .
- احترام الإسلام لعاطفة الحب بين الزوجين
- المرحلة الحرجة في حياة الشباب .
- الشباب وجنون العاطفة .
- الفتاة التي تلعب بالنار .
- الحب الناضـــج .
- الحب بعد الزواج .
- شهيد الحب .
- المـــــاضي .

عاطفة الحب في التصور الإسلامي

الحب : هو ذلكم الرباط السحري الذي تتماسك به الأكوان . . إنه روضة الحياة وأريجها الفوّاح ، وعطرها الذي تنتشي منه الأرواح ، والحب كلمة واسعة الدلالة . . ولكنني أعني بهَا هنا : الحب بين فتى وفتاة ، بين رجل وامرأة . .

والحب بهذا المعنى هو من العواطف الإنسانية التي لم يصادرها الإسلام ، ولم يعمل على قمعها داخل النفوس لتولّد الكبت . بل هو فطرة اللّه التي فَطَرَ الناسَ عليها . . يقول اللّه عز وجل :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ (٣) .

وقال ﷺ : « النساء شقائق الرجال » (٤) . . فكل من شِقَّيْ النفس البشرية يظل تائهاً حائراً حتى يعثر على شقه الآخر ليجد في ظله التوحد الأول فتهدأ النفس بعد اضطرابها ويأنس الجسم إلى الراحة والقرار . .

وإلى هذه العاطفة السامية يشير رسول اللّه ﷺ بقوله : « حُبِّبَ إلي من الدنيا النساء والطيب ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » (٥) .

هل تأملت لفظ « حُبِّبَ » إنه شبيه بلفظ زُيِّنَ ، أي أن الحب وميل كل من الجنسين إلى الآخر عواطف ورغبات وضعت في الفطرة البشرية دون إرادة للبشر

---

(١) آل عمران : ١٤ . (٢) الروم : ٢١ . (٣) الأعراف : ١٨٩ .
(٤) رواه أحمد وأبو داود . (٥) رواه أحمد والنسائي .

فيها ، ونجد هذا المعنى بارزاً في حديث النبي ﷺ عن العدل بين نسائه حيث يقول : « اللّهم هذا قسمي فيماأملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » [1] .

فالذي يملكه رسول اللّه ﷺ هو العدل بين نسائه في النفقة والمبيت وسائر الحقوق المادية . . والذي لا يملكه هو الميل القلبي . .

واذا أردنا أن نضع نموذجاً رفيعاً يمثل هذه العاطفة في قمة صفائها ، فإننا سنتجه على الفور إلى صاحب الشخصية الجامعة ، شخصية رسول اللّه ﷺ صاحب القلب المرهف ، والمشاعر الحساسة ، فنجد أنه كان يحب زوجه عائشة رضي الله عنها حبا عرفه كل صحابته ، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تولى الخلافة فرض لأمهات المؤمنين من بيت المال عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين ، وقال : إنها حبيبة رسول اللّه ﷺ ، وكان الصحابي « مسروق » إذا حَدَّثَ عن عائشة رضي الله عنها يقول : حدثتني الصديقة بنت الصديق - حبيبة رسول رب العالمين ، المبرأة من فوق سبع سموات . . على الرغم من ذلك الحب لعائشة فإنه لم ينس حبه الأول . . حبه لخديجة رضي اللّه عنها ، وظل وفياً لهذا الحب يرويه من ينابيع الوفاء . . عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : « ما غِرْتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غِرْتُ على خديجة رضي اللّه عنها - ومارأيتها قَطُّ ، لكن كان يكثر من ذكرها وربما ذبح الشاة ، ثم يُقَطِّعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق [2] خديجة رضي الله عنها ، فربما قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟! فيقول : « إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد » [3] .

ولقد كان يسمع صوت أُختها « هالة » فيثير صوتها مشاعره ، ويُذكِّره بالماضي البعيد لأنه كان شبيهاً بصوت خديجة . .

« عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : استأذنت هالة بنت خُوَيلدْ أُخت خديجة

---

(١) رواه أبو داود والترمذي . (٢) صدائق : جمع صديقة . (٣) متفق عليه .

رضي الله عنها على رسول الله عليه الصلاة والسلام - فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك ، فقال : « اللهم هالة بنت خُوَيلدْ » [1] . . وهكذا لم تشغل الدعوة بأثقالها رسول الله ﷺ عن أن يكون ذا قلب محب عطوف . صلاة وسلاماً عليك أيها النبي المحب الوفي !!

* * *

● احترام الإسلام لعاطفة الحب بين الزوجين :

سأعرض هنا صورتين حدثتا على عهد الرسول ﷺ توضحان بجلاء كيف أن ديننا الإسلامي جعل لهذه العاطفة أعظم مكانة في العلاقات الزوجية ؟ وإلى أي مدى احترم عاطفة المودة والرحمة بين الزوجين ؟

فإذا نُسفت هذه العاطفة واستحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق ، وفشلت جميع وسائل التوفيق بين الرجل وزوجته . . كان آخر الدواء الكي . . وسواء أكان تمرد هذه العاطفة من جانب الزوج أو من جانب الزوجة . .

ولعل سائلاً يسأل فيقول : إذا تغيرت عاطفة الزوج نحو زوجته بهذه الصورة التي تستحيل معها الحياة الزوجية ، فإنه يستطيع التخلص من زوجته بالطلاق ، فماذا تصنع الزوجة ؟

أقول بوضوح : إن الإسلام احترم مشاعر المرأة نحو زوجها كما احترم عواطف الرجل نحو زوجته تماماً دون تفرقة ، ويظهر هذا المبدأ جلياً فيما نعرضه في هذا المقام :

رفعت زوجة ثابت بن قيس جانب خبائها ، فرأت زوجها مقبلاً في عدة من صحبه ، فإذا هو أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهاً ، فحرك هذا المشهد مشاعر الكراهية التي كانت مُترسبة في أعماقها منه ، وعلى الفور

---

(١) رواه مسلم .

تركت بيته ، وذهبت إلى بيت أهلها . . ومع خيوط الفجر الأولى كانت واقفة عند باب بيت رسول الله ﷺ ولم تنتظر إلى أن يصلي صلاة الصبح لتعجل بفراقها من زوجها ثابت بن قيس ، وقالت : يارسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين - تعني أنه رجل غير متهم في خُلُقه أو دينه - ولكني أكره الكفر في الإسلام - أي أكره الكفر بعشرته ، فأحيل حياته جحيماً ، ولا يسعني أن أقوم بحقوق الزوجية التي لا تؤدي إلا بعاطفة المودة والرحمة بين الزوجين - فقال لها رسول الله ﷺ : « أتردين عليه حديقته » ؟- أي التي قدمها مهراً لها - فقالت : نعم ، وإن شاء زدته . فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس أن يطلقها .

وقال له : « اقبل الحديقة ، وطلقها تطليقة »[1] .

وهذا مشهد آخر يؤكد منهج الإسلام في هذا المجال :

كان « مُغيث » عبداً في بني مخزوم ، وكانت « بُرَيرة » أَمَةً تعمل في خدمة عائشة رضي الله عنها ، وشاءت الأقدار أن تجمع بين مُغيث وبُرَيرة تحت سقف واحد في زواج فيه الحب من طرف واحد . . مُغيث مُولَهٌ[2] في حب بُريرة ، وقلب بُريرة يأبى أن ينسكب فيه حب مُغيث ، والقلوب بيد الرحمن يُقَلِّبُها كيف شاء . . ويأتي اليوم الذي تُعتق فيه بُريرة ، ويصبح لها الحق في أن تنعتق من هذا الرباط الذي جمع بينها وبين رجل قلبها في غطاء عن حبه ، وتصر بريرة على فراق مغيث ، ولكن حبها مَلَكَ عليه أقطار قلبه حتى إنه ليذرع طرق المدينة خلفها وهو يذرف من عينيه الدموع الساخنة عَلَّها ترحم عَبْرَتَهُ وترد لهفته . . وعبثا تذهب دموعه .

وينطلق مُغيث إلى العباس عم النبي ﷺ يرفع إليه شكواه ليُوَسِّط النبي ﷺ لعلّه يشفع له عند حبيبه المتأبي عليه ، وغزاله الشارد من بين يديه . . ويَرِقّ له

---

(١) رواه البخاري ومالك في الموطأ وآخرون .

(٢) أذهب حبها عقله .

النبي ﷺ ويُحَرِّك هذا المشهد مشاعره ، فيقول للعباس عمه : « ياعباس ، ألا تعجب من حب مُغيث بُريرة ، ومن بغض بُريرة مُغيثا » ؟ ويكلم النبي ﷺ بُريرة في شأن مُغيث فقال لها : « لو راجعته . . فإنه أبو ولدك » . قالت : يارسول الله ، تأمرني ؟ قال : « إنما أنا أشفع » . قالت : لا حاجة لي فيه [1]

فأي تكريم هذا الذي كَرَّمَ به الإسلام المرأة ؟ وأي دين هذا الذي يقيم للعواطف الإنسانية هذا الوزن في أخطر أمور الحياة ؟ . . إنه ديننا الإسلام . . الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

* * *

● المرحلة الحرجة في حياة الشباب :

ومرحلة المراهقة التي يمر بها كل فتى وفتاة - هي مرحلة التهاب المشاعر ، وثورة العواطف . . فترة الأحلام الوردية ، والخيال المُجنِّح ، والنظرة الحالمة .

وما أن تتفتح عيون الشباب وأسماعهم في هذه المرحلة على أغاني الحب ، ومسلسلات الحب ، وأفلام الحب الذي تبثه وتُزينه أجهزة الإفساد ، حتى يظل الفتى شارد الفكر مسلوب القلب . . أجهزة التخريب تُلح عليه من الخارج ، والحنين إلى الجنس الآخر يدفعه من الداخل . .

ويظل الفتى أو الفتاة في شرود ، كل منهما يفكر . . يريد أن يُجَرِّب . . ويبدأ في تسجيل الأغاني وحفظها ، ويشتري كتباً رخيصة تحمل بين دفتيها خطابات الغرام وعبارات العشق والهيام . . ويحفظ بعض العبارات المعسولة . .

وينصب شباكه . . وإذا في شباكه تقع فتاة . . و :

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه واللفظ له .

لكل ساقطة في الحي لاقطة وكل كاسدة يوماً لها سوق

ومن هنا تبدأ حكاية الحب ، وتظهر على المتيم أعراضه ، سهر . . أرَقْ . . إضراب عن الطعام . . أحلام يقظة . . انصراف عن الاستذكار والتحصيل . . وكما عَبَّرَ حماد الراوية عندما سُئل عن الحب ، فقال : الحب شجرة أصلها الفكر، وعروقها الذكر ، وأعضاؤها السهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنية . .

ويعيش « قيس » يترقب خُطى « ليلى » إن غابت عنه تحوَّلت الدنيا في عينه إلى ليال ليست لها أسحار ، وظلمات لا يتخللها أنوار .

وتبدأ الكلمات ، وتُحدد اللقاءات ، وتُكتب الخطابات ، وتُتبادل الصور ، وهنا بداية الانحراف ، وبداية النهاية في مستقبل الحبيبين المتيمين معاً . .

هذا الحب هو مايسمى بـ « حب المراهقين » ، أو حب « التلامذة » ، ولا يجني الفتى أو الفتاة من ورائه إلا تشتيت الذهن ، وتبديد الطاقة ، والسهر والدموع ، وبالتالي الانصراف عن الدراسة وتحطيم المستقبل على صخرة العاطفة.

* * *

● الشباب وجنون العاطفة :

هذا الفتى الذي سار في هذا الطريق ، قد حُكم على مستقبله بالضياع . . فإن كان الحب من طرفه وحده فيالشقائه وعذابه . .وإن بادلته « ليلى » مطارحات الهوى ومساجلات الغرام ، كانت الكارثة التي ينتهي بها كل حب من هذا القبيل . .

ولقد أعجبني هذا الشاعر الشاب القوي العزيمة الذي لم يجعل لهذه الأفكار السقيمة سلطاناً على قلبه وعقله ، فتشغله عن الوصول إلى قمة المجد التي ينشدها فيقول :

سلام على من تَيَّمتني بطُرفها ولمعة خديها ولمحة طرفُها

سبتني وأصبتني فتاة مليحة تحيرت الأوهام في كُنْهِ وصفها
فقلت ذَريني واعذريني فإنني شُغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاب العلم والفضل والتقى غنى عن غناء الغانيات وعرفها

وهذا الذي أراد الحب أن يتسلل إلى قلبه في غفلة من عقله فيزجر قلبه ويقول له : ليس هذا أوان الحب ..

وقلت لقلبي حين لَجَّ به الهوى وكلّفني ما لا أطيق من الحب
ألا أيها القلب الذي قاده الهوى أفق ، لا أقر الله عينك من قلب

ويقسم ابن القيم العشق ثلاثة أقسام فيقول :

« عشق هو قُربة وطاعة وهو عشق الرجل امرأته وجاريته ، وهذا العشق نافع ، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح ، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله ، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس .

وعشق هو مقت عند الله وبُعد من رحمته . . وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه وهو عشق المُرْدان (الذكور) فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله وطرده عن بابه ، وأبعد قلبه عنه ، وهو من أعظم الحُجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف : « إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المُرْدان » . وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ماجلبت ، وما أتوا إلا من هذا العشق إذ قال الله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١) .

ودواء هذا الداء : الاستغاثة بمقلّب القلوب ، وصدق اللجأ إليه والاشتغال بذكره ، والتعوض بحبه وقربه ، والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق ، واللذة التي تفوت به ، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب ، وحصول أعظم مكروه ، فإذا أقدمت نفسه على هذا أو آثرته فليُكَبِّر على نفسه تكبير الجنازة ، وليعلم أن البلاء قد أحاط به . .

---

(١) الحجر : ٧٢ .

والقسم الثالث من العشق : العشق المباح الذى لا يُملك ، كعشق من صُوِّرت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير قصد ، فأورثه ذلك عشقاً لها . ولم يُحدث له ذلك العشق معصية ، فهذا لا يُملك ولا يُعاقب عليه . والأنفع له مدافعته والاشتغال بما هو أنفع له منه ، والواجب على هذا أن يكتم ويعف ويصبر على بلواه ، فيثيبه الله على ذلك ويُعَوِضه على صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وإيثار مرضاة الله وما عنده » [1] .

وعن الاسترسال مع هذا النوع الثالث يقول ابن عقيل : « العشق مرض يعتري النفوس العاطلة ، والقلوب الفارغة ، والمتلمحة للصور ، لدواع من النفس ، ويساعدها إدمان المخالطة ، فتتأكد الألفة ويتمكن الأُنس ، فيصير بالإدمان شغفاً ، وما عشق قط إلا فارغ فهو من علل البطّالين ، وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر ، وطلب الحقائق المُستَدَلّ بها على عِظم الخالق » . .

ويتحدث ابن الجوزي عن ضرر العشق فيقول :

« وأما ضرر العشق في الدنيا ، فإنه يُورِثُ الهَمَّ الدائم والفكر اللازم والوسواس والأرَقْ ، وقلة المطعم ، وكثرة السهر ثم يتسلط على الجوارح ، فتنشأ الصفرة في البدن والرعدة في الأطراف ، فالرأى عاطل ، والقلب غائب عن تدبير مصلحته ، والدموع هواطل ، والحسرات تتتابع ، والزفرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتد » [2] .. وصدق القائل اذ يقول :

العشق مَشْغَلَةٌ عن كل صالحة وسَكْرَةُ العشقِ تنفى سَكرة الوسَنِ

وإنني أسأل هذا الشاب : كيف يستبيح لنفسه أن يُنشئ علاقة مُحرَّمة بفتاة لا تحل له ؟

ألم يعلم بأن هذا يُغري أخواته بالفساد إذا اكتشفن هذه العلاقة ؟ وهي لابد أن تُكشف مهما حاول أن يُسدل عليها ستائر كثيفة من الإخفاء والتمويه !

---

(١) الجواب الكافي ص ٢٢٩.

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي .

ماذا يكون شعوره لو علم أن أُخته أو إحدى قريباته على علاقة بشاب آخر ؟ هل سيثور ويفور ، ويُرغي ويُزبد ، ويُقيم الدنيا ويُقعدها ، أم أنه سيتعامى ويُغمض عينيه عما يجري حوله ؟ !

أعتقد أن روح الشباب المتوقد فيه ، ونخوة الرجولة المتأصلة في نفسه ، ومشاعر الغيرة على عِرضه لن تجعله يدع هذه القضية لتمر بسلام . .

إذن كيف يُحِلُّ لنفسه ما يُحَرِّمه على غيره ؟

تصف الدواءَ لذي السقام وذي الضنَى كيما يصح به وأنتَ سقيمُ

لقد جاء فتى إلى رسول الله ﷺ فقال : يانبي الله ، أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : « قَرِّبوه ، ادن » ، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ : « أتحبه لأمك » ؟ ، قال : لا ، جعلني الله فداءك ، قال : «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . . أتحبه لابنتك » ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك . قال : « كذلك الناس لا يُحبونه لبناتهم . . أتحبه لأختك»؟ وزادت بعض الروايات أنه ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني الله فداءك . فوضع الرسول ﷺ يده على صدره ، وقال : « اللهم طَهِر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحَصِّنْ فَرجه » ، فلم يكن شيء أبغض إليه منه - يعني الزنا [1] .

وبهذا الأسلوب المقنع الهادئ ، أجبت تلميذاً يسألني : إنني أحب فتاة حباً بريئاً . . فقلت له : أتحب أن يُحب أحَدٌ أختك حباً بريئاً ؟ فأجاب : لا . . فقلت له : كذلك الناس لا يُحبونه لأخواتهم .

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه « التربية الإسلامية » : « فحين يقول إنسان لنفسه : إنني أحس في أعماقي بحنين إلى الجنس الآخر ورغبة قوية في

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد ورجاله رجال الصحيح .

اللقاء بأحد أفراده ، والامتزاج معه ، والإفضاء إليه ، والاتحاد الكامل معه حتى كأننا شخص واحد لا شخصان منفصلان .

هذا الإحساس ليس عيباً في ذاته ولا قذارة ، إنه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، كل الرجال وكل النساء يشعرون بهذا الحنين وهذه الرغبة ، ولا بد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة ، ويحفظوا النوع على وجه الأرض .

والتركيب الجسمي يشير إلى هذه الوظيفة . . ففسيولوجياته وبيولوجياته وكيماوياته كلها مهيأة للقيام بهذه الوظيفة على وجهها الأكمل ، لتنتج أجيالا جديدة من الحياة ، وهو أمر لا يتم بغير لقاء زوجين .

وحين أحس بهذا الإحساس وهذا الميل ، فأنا سائر مع الفطرة في إتجاهها السليم .

ولكن ليس معنى هذا أن يكون التفكير في مسائل الجنس هو شغلي الشاغل ، وهمي المُقْعِد المقيم ، فالحياة ليست جنساً خالصاً ، ولا هي محصورة في هدف واحد . . إن عليّ تبعات أخرى تجاه نفسي وتجاه الناس .

إن عليَّ أن أتعلم ، وعلي أن أُنتج ، وعليَّ أن أنظر في أمر المجتمع ، أسائر هو على ما ينبغي له أم منحرف عن سبيله ، وما أسباب انحرافه ؟ وعليَّ أن أقوم بدوري في تقويمه من انحرافه .

وعليَّ أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر ، وقد يُصيبني من الناس أذىً وأنا أقوم بهذا الواجب فينبغي أن أُجَنِد نفسي على احتمال الأذى ، وأُجَنِد نفسي لمقاومة الشر ، وعليَّ أن أقوم بدوري الإيجابي في هداية الناس إلى الحق .. وخير وسيلة لذلك هي « القدوة » ، فينبغي أن أكون أنا بذاتي قدوة حسنة ، وإلا فلا قيمة لكل ما أقول وأنا أقول للناس : إن الذي يُفسدهم هو انحرافهم في طريق الشهوات ، فلأكن أنا المثل في عدم الانجراف مع الشهوات .

وكذلك ليس معنى هذا أن أخطف فتاة ما لأقضي معها رغبة جنسية فهذه

الفتاة ليست لي ، لا أملكها لنفسي حتى أتصرف في شأني وشأنها على هذا الوضع . إن لها عِرْضاً يُكافئ عِرْضي لا يجوز لي أن أدنسه . إني أحب أن يكون عِرْضي نظيفاً طاهراً لم يدنسه شيء ، فلأحافظ على عِرْض هذه الفتاة كذلك . وإني أحب حين تكون لي زوجة أن تكون نظيفة . . أن تكون خالصة لي بروحها وجسمها جميعاً . فلأترك هذه الفتاة إذن نظيفة لمن ستكون زوجا له ، فلأتركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتي لي خالصة .

ولو أنها رضيت رضاءً بأن أقضي معها رغبة الجنس ، أو دعتني هي إلى ذلك فلا فارق . إنه لا يجوز لي . إنها كالحارس الذى يدعو الناس إلى سرقة المال الذى يحرسه ، فذلك لا يُعطي الناس الحق في السرقة ، لأن الحارس لا يملك المال في الحقيقة .

وهذه الفتاة الحارسة على عِرْضها لا تملك التصرف فيه ، ولا دعوة الناس إلى اغتصابه . . إنه ليس عِرْضها وحدها ، إنه عِرْضها وعِرْض والديها وعِرْض أسرتها وعِرْض مجتمعها وعِرْض الإنسانية ، إنه عِرْض الأمانة التي ائتمن الله عليها البشر ، وينبغي أن يردوا له الأمانة نظيفة كما تلقوها ، كاملة كما تسلموها إلا بحقها الذي نص عليه صاحب الحق » .

* * *

• الفتاة التي تلعب بالنار :

وهذه الفتاة التي رضيت أن تسلك هذا الطريق الوعر الحافل بالمخاطر والأشواك التي يمكن أن تُمزِّق عنها ثياب العفة .

كيف تلعب بالنار ؟ النار التي تحرق سمعتها وتُدمر مستقبلها ، أما علمت أن شرف الفتاة كالثوب الأبيض ، وهذه العلاقة تظل نقطة من مِداد أسود في ثوب شرفها الناصع البياض ؟

أما علمت أن الحياة مليئة بالخداع والمكر ، حافلة بالذئاب الماكرة في لباس البشر . . . ؟

أيتها الفتاة . . .

إن فيكِ الرقة ، وفيك الوداعة ، وفيك البراءة ، وفي قلبك الرقيق ينابيع الحب والرحمة والحنان . . لا تمنحيها لأول طارق ، واحتفظي بها ، وادخريها لزوجك ، لفارس أحلامك ، لأسرتك التي لا تقوم إلا بهذه العواطف النبيلة . .

لا تُصَدِّقي كلام الأفلام والمسرحيات والأغاني ، فإنها « أكل عيش » فهؤلاء يبنون ناطحات السحاب على أنقاض صروح الفضيلة ، ويرفلون في أثواب الترف ، ويتقلبون في أحضان النعيم ، إذا انهارت الأخلاق وسادت الرذيلة ، وراجت متطلبات الدعارة . . هؤلاء الذين ترينهم يمثلون أمامك أدوار الحب والغرام من أتعس خلق الله وأشقاهم في واقع الحياة . .

كحامل لثياب الناس يغسلها وثوبه غارق في الرجس والنَجَسِ

إن الفتاة التي تُراسل الفتى أو تُعطيه صوراً فكأنما تهديه حياتها ومستقبلها . . وهي الوسائل التي تُمَكِّنَه من ابتزازها تحت ضغط أدلة الإدانة التي تُحفظ عليها ، وربما دعته الظروف الى إشهار هذا السلاح لينتقم منها وَيُشَهِّر بها ، ويهدم صرح حياتها . . والفشل في الحب يصنع الكوارث . .

هذا الفتى الذي يُرسل إليك الخطابات يشكو فيها حُرقة الجَوَىَ ولوعة النَوَىَ ويصف فيها ورد الخدود ، ورمان النهود ، وأغصان القدود . . احذريه . .

إنه ذئب ماكر في ثوب محب ولهان . . يتسلى بك ، ويضحك منك ، ويتخذك متنفساً مؤقتاً لعواطفه . . إنه يضع طُعْمه في الشبكة والفخ . . وطُعْمه الألفاظ المعسولة ، وتكلُّف البطولة ، والمفاهيم المزيفة باسم التحرر والانطلاق ، والتمتع بالحياة ، والتفكير العصري . .

إنه بطُعْمه هذا يحاول أن يستغل براءتك ليُخَدِّر أحاسيسك ومشاعرك ويحصل على أقصى ما يستطيع منك من مُتعة رخيصة ليمضي هو خفيفاً . . ثم تروح السَكرة وتأتي الفكرة ، وتنظرين حواليك لتجدي جيوش الفضيحة والعار تهزك بعنف ، وتُحيط بكِ من كل جانب . .

هذا المحب الذي سهر الليالي ، وَعَدَّ النجوم ، وشكا همومه إلى النسيم ، وأخلصت له «ليلاه» وأعطته جسمها وعِرْضها ..

هذا الثعلب الماكر لو قُدِّرَ له أن يخطب عروساً في اليوم التالي لتكون زوجة له وأماً لأولاده . . لما اختار مثل هذه زوجة أبداً . . إنه سيجتهد في البحث ، ويُحَقِّق ويُدَقِّق ، ويُحلِّل ويُمَحِّص ، ويسأل ويتحرى . . يُقدِّم رِجلاً ويُؤخر أُخرى . . لماذا . . ؟

لأنه أُصيب بالشك ، فهو يخاف أن يسقط على إنسانة مُلوَّثَةٌ كما لَوَّثَ هو الأُخريات . .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وهكذا ذهب الحب « المزعوم » وتبخر وتلاشى مع أول جريمة اقترفها أو قبلة اختلسها ، وألقى بحبيبة القلب إلى عرض الطريق كما يلقي المدخن عُقْب «سيجارته» بعد أن قضى منها وطره ، وأشبع نهمه ليدوسها كل من يمر بها دون أن يلقي لها بالاً . . ويتولى عنها ولسان حاله يقول :

لا تأمن الأُنثى حبتك بودها إن النساء ودادهن مقسم

اليوم عندك دَلها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم

ونتيجة لهذا الحب الأرعن تُصاب الفتاة بالإحباط ، وتلعن الحب ، وتلعن معه كل الرجال وتنطوي على نفسها يطاردها ماضيها الأليم ، وتجتر ذكريات الأسى ليذيقها الضمير أبشع ألوان العذاب ، وكأنه وقدات تلذع قلبها . . وربما كان رد الفعل أقوى ، فتسمم حياتها الزوجية ، وتنتقم من المحب الهارب في صورة زوجها المسكين !!

إن الرجل يحب في الفتاة شرفها وفضيلتها .. يُحب فتاة بلا ماضٍ . . فتاة عذراء الروح . . بِكْرُ الفؤاد ، لم يستهلك طاقة الحب في قلبها الرقيق بشر ، ولم يُلوث جسدها الطاهر إنسان . .

هذه الفتاة هي التي تُلهب مشاعر الفتى ، وتجعله يلهث وراءها ، لا أقصد الذي يريد أن يلهو ويتسلى بها ، ولكنه الذي يريد الزواج . . الذي يريد حباً مع النفاذ . .

وإننا لنجد في تراثنا العربي شمم المرأة العربية وأنفتها حين تقف قوية المراس أمام عواطفها . . قيل لـ « عتبة » بعد موت عاشقها : ماكان يضرك لو أمتعته بوجهك ؟ قالت : منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ، ومخافة الجبار . . وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه - غير أني أجد ستره أبقى للمودّة ، وأحمد للعاقبة ، وأطوع للرب ، وأخف للذنب [1] . .

وقبل أن نغادر الحديث في هذا الموضوع ، فإن أديب العربية الفذ « مصطفى صادق الرافعي » يهمس في أذنك بهذه الكلمات :

« احذري أن تُخدعي عن نفسك . . إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة . .

إن الكلمة الخادعة إذ تُقال لك ، هي أخت الكلمة التي تُقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق . .

يغترونك بكلمات الحب ، والزواج ، والمال ، كما يقال للصاعد إلى الشنّاقة : ماذا تشتهي ؟ ماذا تريد ؟

الحب ؟ الزواج ؟ المال ؟ يالحم الدجاجة . . بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب . .

أيتها الشرقية احذري . . احذري . .

احذري السقوط ، إن سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاث مصائب في مصيبة :

سقوطها هي ، وسقوط من أوجدوها ، وسقوط من توجدهم . . نوائب الأسرة

---

(١) روضة المحبين لابن القيم ص ٣٣٦ .

كلها قد يسترها البيت ، إلا عار المرأة . فيد العار تُقَلِّب الحيطان كما تُقَلِّب اليد الثوب فتجعل ما لا يُرى هو ما يُرى . . والعار حُكم يُنَفِّذُه المجتمع كله ، فهو نفي من الاحترام الإنساني . .

أيتها الشرقية احذري ، احذري . .

لوكان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان منذنة ووقف يؤذن عليها . . يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة ، كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته . . واللص والقاتل والسكير ، والفاسق ، كل هؤلاء على ظاهر الإنسانية كالحر والبرد . .

أما المرأة حين تسقط ، فهذه من تحت الإنسانية هي الزلزلة . . ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض ، إلا عار المرأة حين يشق الأسرة . .

أيتها الشرقية . . احذري ، احذري »[1] .

* * *

(١) وحي القلم جـ ١ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

الحب الناضج

وتسألونني : متى نتمتع بنعيم الحب ونشوته ؟ . .

نعم هذه المرة تسألون عن الحب الحقيقي . . لا الحب المزيف . . الحب الناضج وليس حب المراهقة الذي يشتعل سريعاً وينطفيء سريعاً . .

وهذا الحب الذي نعنيه هو العاطفة الناضجة التي تُفَرِّق بين الإحساس بالجمال السطحي ، وبين الإحساس الحقيقي بحب إنسان فيه من الصفات ما هو جدير بهذا الحب . .

هذا الحب الناضج الواعي هو الذي قد يطرق القلب عندما يصبح الشاب مستعداً لتحمل نتائجه . .أقصد تحمل تبعات الزواج . .

هذا الحب . . يباركه الإسلام . . ،

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا قال : يارسول الله ، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان : موسر ومعسر . هي تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ، فقال رسول الله ﷺ : « لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح » [1] .

والنظرة هي الشرارة الأُولى التي تُشعل عاطفة الحب . .

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها . . فعل السهام بلا قوس ولا وتر .

ولا تَحِلُّ هذه النظرة الطويلة المحققة المدققة في أسرار الجمال إلا إذا كان الإنسان عازماً على الزواج . . ولذلك كان النبي ﷺ يدفع من يريد الزواج الى رؤية من يريد خطبتها لعله يدرك من أسرار الجمال فيها وتُدرك من أسرار الجمال فيه ما يوقع الحب في قلبيهما . .

وما الحب من حسن ولا من ملاحة ولكنه شئ به الروح تكلف

---

(١) رواه الطبراني وابن ماجه .

عن محمد بن سلمة ، قال : خطبت إمرأة ، فجعلت أتخبأ لها حتى نظرت إليها في نخل لها ، فقيل له : أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة ، فلا بأس أن ينظر إليها »[١] .

وهذا الحوار الذي دار بين عبد الملك بن مروان وبُثينة يبين أن لكل إنسان ذوقاً في الجمال ، قد يتعلق بغير المظهر الخارجي ويكون باعث التقاء الأرواح فيه أقوى من باعث الجمال الحسي ، و « الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »[٢] .

دخلت بُثينة على عبد الملك بن مروان ، فقال بها : يابثينة ، ما أرى فيك شيئاً مما يقوله جميل . . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنه كان يرنو إليّ بعينين ليستا في رأسك . قال : فكيف رأيته في عشقه ؟ . . قالت : كان كما قال الشاعر :

لا والذي تسجد الجباه له ما لي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها ماكان إلا الحديث والنظر[٣]

وهكذا يكون الزواج هو الخطوة الأولى على طريق الحب الناجح الذي يعمر به الكون ، ويدفع سفينة الحياة في بحار السعادة هادئة مطمئنة . . تهب عليها نسمات رقيقة عذبة ، يتمتع بها الحس ، وتأنس إليها النفس ، ويكون المعنى الحقيقي لقوله عز وجل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] .

* * *

(١) رواه ابن ماجة وابن حبان بسند آخر .
(٢) أخرجه البخاري .
(٣) المستطرف للأبشيهي ص١٨٣ .
(٤) الروم : ٢١ .

الحب بعد الزواج

وتسألونني : هل يستمر الحب بعد الزواج ؟

أجيب عليكم : بنعم . . نعم يستمر على شرط أن يشترك الزوجان في رعاية شجرة الحب وتعهدها وسقيها بالمعاملة الرقيقة ، والكلمة الحانية ، والبسمة الراضية ، والتجاوز عن الهفوات ، وأن يُعيد كل من الطرفين النظر في خياله المُجَنَّح الذي كان يُجَسِّم له شريك حياته على أنه مَلَك من ملائكة العالم العُلوي . . عند ذلك سيجد كل من الحبيبين أنه يقطع رحلة الحياة على جناح الشوق والمحبة ، والرحمة والمودة ، إلى أن يكون اللقاء هناك ، حيث لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَرَ على قلب بشر . .

والآن أصحبكم في رحلة قصيرة لنقرأ معاً نماذج رائعة عن الحب الحلال :

روى ابن الجوزي في كتابه « ذم الهوى » [1] أن عبد الله بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، وكانت حسناء جملاء ، ذات خلق بارع ، فشغلته عن مغازيه فأمره أبوه بطلاقها ، وقـــال : إنها قد شغلتك عن مغازيك ، فقال شعراً :

يقولون طَلِّقْها وخَيِّم مكانهـا ... مُقيماً عليك الهَمّ أحلام نائم

وإن فراقي أهلَ بيت جمعتهم ... على كِبَرٍ مني لإحدى العظائم

ثم طلّقها . . فمر به أبوه وهو يقول :

أعاتكُ لا أنساك ما ذَرَّ شارقٌ ... وما لاح نَجمٌ في السماءِ مُحَلِّقُ

أعاتِكُ قلـــبي كل يوم وليـــلة ... لديكِ بما تخـــفي النفوس مُعَلِّقُ

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ، والصدِّيقة بنت الصدِّيق لعباس محمود العقاد .

ولم أرَ مثلي طَلْقَ اليومَ مِثلُها ولا مثلها في غيرِ شيءٍ تُطَلَّقُ

لها خُلُق جَزْلٌ ورأيٌ ومنصبٌ وخَلْق سَوًى في الحياة ومَصْدُقُ

فرُقَ له أبوه فراجعها ، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة الطائف فأصابه سهم ، فمات بعد بالمدينة . فقالت عاتكة تبكيه :

رُزِئْتُ بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وماكان قَصَّرا

فآليت لا تَنْفَكُّ عَيْنَيَّ حزينةً عليكَ ولا يَنْفَكُّ جلدي أغْبرا

فللّه عيناً من رأى مثله فتىً أكَرُّ وأحمى في الهياجِ وأصبْرَا

إذا شُرِعَت فيه الأسِنَّةُ خاضها إلي الموت حتى يترك الرُمح أحمرَا

أرأيت كيف كان الحب ؟ وكم كانت تعشق المرأة العربية في الرجل ؟ إنها كانت تعشق فيه صفات البطولة والرجولة ولو ابتلعته الحرب العوان . .

أرأيت بِمَ رثت عاتكة زوجها ؟ لقد رثته بسمات الفروسية في غبار الحرب وفي مستنقع الطعن والضرب ، ولم تذكر فيه جماله ودلاله ، ونعومة يديه وشعره « الخنافس » وحذاءه ذا الكعب العالي . . !!

وحكى الأصمعي عن رجل من بني ضَبَّة قال : ضلت لي إبل فخرجت في طلبها ، حتى أتيت بلاد بني سليم ، فلما كنت في بعض أَحْوِمُها ، إذا جارية عشّى بصري إشراق وجهها ، فقالت : ما بُغيتك ، فإني أراك مُوَلِّهاً ؟ قلت : إبل ضلت لي فأنا في طلبها قالت : فتحب أن أرشدك إلى من هي عنده ؟ قُلت : نعم . قالت : الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن . . فإن شاء ردهن ، فاسأله من طريق اليقين ، لا من طريق الاختيار . . فأعجبني ما رأيت من جمالها وحُسن منطقها ، فقلت لها : هل لك من بعل ؟ قالت : كان واللّه ، فدُعي فأجاب إلى ما منه خُلق ، ونِعْمَ البعل كان . . قلت لها : فهل لك في

بعل لا تُذم خلائقه ، ولا تُخشى بوائقه - يعرض عليها الزواج - فأطرقت ساعة[1] ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً ، فأنشأت تقول :

كُنَّا كغصنين من بان غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جناتِ

فاجتث صاحبها من جنب صاحبه ... دهر يكر بفرحات وترحاتِ

وكان عاهدني إن خانني زَمن ... ألا يُضاجع أُنثى بَعْدَ موتاتِ

وكنت عاهدته أيضاً فعاجله ... ريب المنون قريباً مُذْ سنيناتِ

فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه ... عن الوفاءِ له خلب التحيات [2]

وحكى الأصمعي أيضاً قال : خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المُهَلَّب بن أبي صُفرة من دمشق متنزهين ، فمرا بالجبانة ، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي ، فهبت الريح ، فرفعت البرقع عن وجهها ، فكأنها غمامة جلت شمساً . . فوقفنا متعجبين ننظر إليها ، فقال لها ابن المُهَلَّب : ياأَمَةَ اللّه ، هل لكِ في أمير المؤمنين بعلاً ؟ فنظرت إليهما ، ثم نظرت إلى القبر وقالت :

فإن تسألاني عن هواي فإنه ... بملحود هذا القبر يافَتَيَانِ

وإني لأستحييه والتُرب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يراني [3]

وممن تحدث التاريخ عن روعة وفائهن لأزواجهن قائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه - وكانت ذات رأي وفصاحة وجمال وكمال . .

فقد عرضت نفسها للقتل يوم أن اقتحم الثائرون دار عثمان بن عفان عنوة ، ولما أهوى أحدهم على عثمان بالسيف اتقت السيف بيدها فقطع أناملها . .

---

(١) الساعة جزء من أجزاء الوقت وإن قل .

(٢) أخبار النساء لابن القيم ، تحقيق الدكتور نزار رضا ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

وبعد أن قُتل عثمان رضي الله عنه وقفت يوماً على قبره وتَرَحَمَتْ عليه ثم انصرفت الى منزلها قائلة : إني رأيت الحزن يُبْلى كما يُبْلى الثوب ، وقد خِفْت أن يُبلى حزن عثمان في قلبي ، فدعت بحجر وكسرت به مقدم أسنانها ، وقالت: والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبداً . . . ثم أرسل إليها معاوية بعد ذلك ليخطبها فبعثت إليه بأسنانها ، وقالت : أذات عروس ترى ؟

وقالوا : لم يكن في النساء أحسن منها مَضْحَكاً ! !

ونقتصر على هذه الصور ، لأن حبل الحديث سيطول بنا في هذا المجال . . والحب بين الزوجين قائم في كل العصور ، ولكننا تخيرنا أمثلة من الأدب العربي ، لأن هؤلاء الناس أجادوا في التعبير عن عواطفهم وعواطف المحبين لزوجاتهم والمحبات .

* * *

شهيد الحب

خرج علينا من الذين لا يراعون حُرمة للكلمات ، ولا يتحرجون من ذكر الله ، ولا الأنبياء ولا الملائكة في أغانيهم - وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » [1] .

خرج علينا من يقول :

قد مات شهيداً يا ولدي من مات فداءً للمحبوب

ويوم أن أُذيعت هذه الأغنية تلقيت سيلاً من أسئلة الشباب عن حديث منسوب إلى رسول الله ﷺ وهو : « من عَشِقَ فعَفَّ فمات فهو شهيد » .

مامدى صحة هذا الحديث ؟

ولا أجد في هذا المقام زيادة على ما عَلَّقَ به الإمام ابن القيم في كتابيه : «زاد المعاد» ، و « الجواب الكافي » . . يقول :

« إن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يكون من كلامه . فإن الشهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصدِّيقين ، ولها أعمال وأحوال هي شروط في حصولها وهي نوعان : عامة وخاصة . .

فالخاصة : الشهادة في سبيل الله . .

والعامة : خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها ، وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة وفراغ عن الله ، وتمليك القلب والروح والحب لغيره تُنال به درجة الشهادة . . هذا من المحال ، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل فساد . بل هو خمر الروح الذي يُسكرها ويصدها عن ذكر الله. وحبه والتلذذ بمناجاته والأُنس به ، ويُوجب عبودية القلب لغيره . .

---

(١) حديث شريف .

فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً ، ولا يُحفظ عن رسول الله ﷺ لفظ العشق في حديث ألبتة . .

ثم إن العشق منه حلال ومنه حرام ، فكيف يُظن بالنبي ﷺ أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد . . فترى من يعشق امرأة غيره ، أو يعشق المردان (الذكور) والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء ! !

وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله ﷺ لأصحابها بالشهادة وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها ، كالمطعون ، والمبطون ، والمجنون ، والحريق ، والغريق ، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها ، فإن هذه بلايا من الله لا صُنْعَ للعبد فيها ، ولا علاج لها ، وليست أسبابها مُحَرَّمة ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق . .

فإن لم يكف هذا في إبطال نسبة هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعلله ، فإنه لا يُحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة ، بل ولا بحُسن ، كيف وقد أنكروا على سويد - هو راوي الحديث - هذا الحديث ، ورموه لأجله بالعظائم ، واستحل بعضهم غزوه لأجل هذا الحديث ».

ونحن نقول : نعم . . من ابتُلي بحب امرأة ، فجاهد نفسه وحارب هواه واعتصم بربه ، ولجأ إليه . . لا شك أنه يدخل تحت قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[1] .

وقد تبين لك جلياً أن الحديث السابق ليس من كلام النبي ﷺ ولا يشبهه ، والله الهادي إلى سواء السبيل . .

* * *

(١) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

الماضي

وتسألونني : إذا تَوَرَّط فتى أو فتاة في مثل هذه العلاقة ، ثم رجع ، وتاب إلى الله وأناب . . هل يُحَدِّث بها خطيبته أو زوجته مثلاً . . ؟

هنا ياشباب ، أرفع راية الخطر ، لأحذركم كل التحذير . . فالشاب الذي يصف بطولاته ومغامراته العاطفية مع الأخريات أمام خطيبته أو زوجته ، فإنه يُحَطِّم نفسه كمثل أعلى في خيال زوجته ، وسيكون هذا سبباً مباشراً في إصابتها بداء الشك فيه . . في تصرفاته وحركاته وسكناته ، وبذلك يكون قد وضع السُم في حياته لتنتحر انتحاراً بطيئاً . .

وكذلك الفتاة - والموقف بالنسبة لها مُرهف وحسَّاس - ينبغي عليها ألا تتكلم مطلقاً بشيء من هذا ، ولتستتر بستر الله لها ، فإن الرجل لا يمكن بحال من الأحوال أن يتصور أن هذه المرأة عرفت رجالاً قبله . والرجل لا ينسى للمرأة زلتها أو سقطتها مدى الحياة . فإن صَرَّحت المرأة بشيءٍ من هذا القبيل . . تكون هذه الغرة الساذجة بجهلها قد وضعت - بإخلاص - مادة متفجرة في بيتها ، توشك أن تنسف صرح حياتها من الأعماق . .

وإليكم ياشباب توجيهات الإسلام في هذا المجال تتحدث عنه سُنَّة رسول الله ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجانة ، أن يعمل الرجل بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله ، فيقول : يافلان . . عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويُصبح يكشف سِتر الله عنه » [1] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها ، فمن ألمّ بشيء منها فليستتر بستر الله »[1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت[2] امرأة من أقصى المدينة ، فأصبت منها ، دون أن أمسها. فأنا هذا ، فأقم على ماشئت . فقال عمر : قد ستر الله عليك لو سترت على نفسك . فلم يرد النبي ﷺ شيئاً ، فانطلق الرجل فأتبعه النبي ﷺ رجلا ، فدعاه ، فتلا عليه : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[3] .

فقال له رجل من القوم : يارسول الله ، أله خاصة أم للناس كافة ؟ فقال : « للناس كافة »[4] .

وهكذا ياشباب ، نجد أن ديننا الحنيف ليس مُغْرَماً بالتشهير ولا بإثارة الفضائح ، ولا بإقامة الحدود ، بل إنه يعطي الفرصة لمن هفا هفوة أو كبا كبوة أن يستأنف حياة جديدة نظيفة ما دام قد تاب إلى الله وأناب :

﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[5] .

* * *

(١) أخرجه الحاكم ورواه مالك في الموطأ.

(٢) قبلها أو احتضنها .

(٣) هود : ١١٤ .

(٤) رواه مسلم والترمذي وأبو داود واللفظ له .

(٥) الفرقان : ٧٠ .